

## الدولة اليهودية هي وصفة لاستمرار الغبن

في العشرين سنة الأخيرة، دأبت جهات كثيرة في الدولة والمجتمع الإسرائيلي على تثبيت فكرة دولة إسرائيل في الوعي العام الإسرائيلي والعربي والعالمي كدولة "يهودية وديمقراطية"، وقد أخذ هذا الجهد أبعادًا أصبح من الممكن بعدها أن نسميه "مشروع الدولة اليهودية". فقد عملت الأكاديمية الإسرائيلية على تطوير نموذج يليق بالواقع الإسرائيلي، هو "الديمقراطية الإثنية"، وعملت جهات برلمانية ومن خارج البرلمان على تطوير دستور يثبت هذا التعريف، وعمل البرلمان على سنّ قوانين لقوينة الفكرة، ونشطت الدبلوماسية الإسرائيلية لنشر الفكرة، وبذلت الصحافة الإسرائيلية جهدًا بارزًا في هذا المجال. وقد يكون هذا الجهد الكبير، المبذول في هذا المشروع، نابغًا من إدراك هذه الجهات أنّ هذا التعريف ينطوي على تناقض داخلي لا يمكن تجاوزه.

في السنوات العشر الأخيرة، تحوّل الجهد إلى المطالبة بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية. وتطلب إسرائيل من العالم، ومن الفلسطينيين الاعتراف بها كذلك وتجعل من هذا الاعتراف شرطًا لقبولها بوجود دولة فلسطينية. إنّ ما تسعى إليه إسرائيل، عبر طلبها هذا، هو أن يقبل الفلسطينيون بشرعيتها كدولة يهودية، أي دولة صهيونية، وهذه شرعنة للمشروع الصهيوني ذاته. عمليًا، يعني هذا المطلب أن يقبل العالم والفلسطينيون أن يكون هذا الجزء من الوطن للشعب اليهودي، وأن يكون المواطن الفلسطيني (صاحب هذا الوطن الأصلي) ضيقًا على السيد الجديد، وأن يُغلق باب العودة، وأن يُشطب حقّ العودة بقبول فلسطيني، وأن تأخذ فوقية اليهودي على العربي في هذه البلاد صبغة شرعية.

وقد يكون مصدر التشديد على المطالبة بقبول العالم، وقبول الشعب الفلسطيني كله -ضحية المشروع الصهيوني- بشرعية الدولة اليهودية، قد يكون هذا مردّه إلى اقتناع الإسرائيليين بأنّ هذه الشرعية غير مفروغ منها، وأنها قابلة للمساءلة.

وتُشكّل مساءلة المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل لهذه الشرعية التحديّ الأكبر، بحكم مكانتهم كمواطنين. وتعكس الآراء المنشورة في هذا العدد من "جدل"، والمقابلة المهمة مع رئيس لجنة المتابعة المنشورة هنا، الإجماع الفلسطيني في الداخل على عدم قبول شرعية الدولة اليهودية، لأنها -بكلّ بساطة- ترسخ دونيتهم، ولاعتقادهم أنه لا يحقّ لأيّ كان أن يطالبهم بقبول هذه الدونية أو ينوب عنهم في عكس موقفهم منها.

ومن المؤسف أن نرى الانتشار العالمي للخطاب السياسي الذي يتحدث عن دولتين لشعبين -دولة فلسطينية ودولة يهودية-، فكثيرون في العالم يجهلون معنى الدولة اليهودية، ويجهلون أنّ ذلك يعطي أفضلية للشخص اليهودي في إسرائيل، أو في أيّ مكان في العالم، على مواطنيها من الأديان والقوميات الأخرى. فعندما تقوم بعض الجهات اليمينية بوصف أمريكا أحيانًا بأنها

دولة مسيحية، يرفض الكثيرون -وبحق- هذا الوصف. ولكن في نفس الوقت، هذا الوصف -على العكس من الوضع في إسرائيل- لا يفضل دستورياً وقانونياً المسيحي على اليهودي، أو على المسلم، أو على البوذي. أمّا المعنى السياسي في إسرائيل لتعريف الدولة اليهودية، فهو بالضبط أن يفضل اليهودي على غيره. وجدير بالعالم أن يفهم عمق الغبن الذي يُعرّض الفلسطينيون له في هذا الاعتراف، وأن يمتنع عن القبول به. وحرّيّ بالعالم أن يقف مع الفلسطينيين، لتجنّب هذا الغبن الذي قد يشبه في عمقه الغبن الذي حلّ بهم سنة 1948، حرّيّ به أن يقف معهم في مطالبتهم بتحويل إسرائيل إلى دولة ديمقراطية. إنّ الدولة الإثنية هي وصفة لاستمرار الغبن، ولاستمرار مقاومته، وبذلك لاستمرار الصراع. والدولة الديمقراطية هي التي تضمن المساواة بين جميع المواطنين. من المستغرب أن يقف الغرب الديمقراطي في وجه الحلّ الديمقراطيّ.